حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٧ (عدد يوليو – سبتمبر ٢٠١٩)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

ظاهرة احتفال السلاطين العثمانيين بمولد وختان أولادهم

طلال جمعان سعد الجويعد العازمي *

المدرس المساعد في قسم التاريخ، كلية الآداب ، جامعة الكويت

المستخلص

يتناول هذا البحث دراسة وصفية تحليلية لظاهرة اجتماعية مهمة في العصر العثماني، وهي ظاهرة الاحتفالات المقامة بمناسبة مولد وختان أولاد السلاطين العثمانيين وما يصاحب هذه الاحتفالات من تحضيرات مسبقة وتقاليد متبعة رافقها الكثير من مظاهر البذخ والإسراف التي كان لها أثر سلبي على خزينة الدولة ، وبينت كذلك مدى مشاركة المجتمع باختلاف طبقاته في الحضور والمشاركة في هذه الاحتفالات ، وذلك على ضوء المصادر المتاحة .

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٩.

المقدمة :

تعد ظاهر الاحتفال بمولد الأولاد وختانهم من الظواهر التي تميز بها المجتمع الإسلامي على مر العصور وعلى اختلاف طبقاته، حيث حوت الشريعة الإسلامية على عدة أحكام تتعلق بالمواليد منذ يوم ولادتهم وحتى بلوغهم سن التكليف والتي تضمنت التسمية والعقيقة والختان وغيرها من الأحكام التي نصت عليها الشريعة.

ويعتبر المجتمع العثماني امتدادا للمجتمع الإسلامي في طبيعة مكوناته وتقاليده ، لذلك كانت ظاهرة الاحتفال بالمولود ثم ختانه من الظواهر الاحتفالية البارزة فيه بدأ من مواليد الأسرة الحاكمة التي سوف يدور بحثنا عن مظاهرها، وحتى الطبقات البسيطة في المجتمع .

وتأتي أهمية هذه الظاهرة الاجتماعية المتعلقة بالاحتفال بمولد الأمراء وختانهم أنها تكشف لنا مدى الاستعدادات والتحضير لها والتقاليد المتبعة عند تلك الاحتفالات والتكاليف الباهظة التي تحملتها، ومدى المشاركة الشعبية في تلك الاحتفالات سواء في العاصمة أو في الولايات الخارجية التي حرصت الحكومة على مشاركتها.

وفي الحقيقة لم تنل هذه الظاهرة الاجتماعية حقها في البحث العلمي خاصة في الدراسات العربية ، حيث انكبت معظم الدراسات حول التاريخ العثماني على الجوانب السياسية والعلاقات الدولية ولم يكن نصيب الظواهر الاجتماعية سوى القليل من هذه الدراسات ، فلم أعثر خلال بحثي عمن تناول هذه الظاهرة في بحث مستقل أو مقالة علمية وإنما وجدت هذه الموضوع عبارة عن اخبار عارضة في المصادر المعاصرة لها تضمنت وصفا لها ، أو معلومات أوردها بعض المؤرخين الأتراك كيلماز أوزتونا ود أحمد أق كندوز ، أو الغربيين كسكيرس ومانسيل في كتاباتهم عن المجتمع العثماني بشكل عام.

وهذا البحث هو محاولة جمع لما تناثر من هذه المعلومات في المصادر والدراسات، ورسم صورة مقاربة لتلك الظاهرة الاجتماعية والتقاليد المصاحبة لها ومدى مشاركة المجتمع في هذه الظاهرة الاجتماعية المهمة، مما يعكس مدى العلاقة بين الأسرة الحاكمة وبقية فئات المجتمع داخل اطار الدولة العثمانية.

الأمير والأميرة في المصطلح العثماني :

يطلق على ابن السلطان في البروتوكولات العثمانية لقب شهزاده، بينما يطلق على الابنة لقب سلطان زاده ، وكانت تحمل حتى عصر السلطان محمد الفاتح لقب خاتون[1]، ويطلق على الابن الأكبر وولي العهد اسم أولو شهزاده أي الأمير الأول ، ويأخذ الأمراء مكانتهم في البروتوكولات العثمانية بعد والدة السلطان وحسب تسلسل أعمارهم، ويعيشون مع أمهاتهم في أجنحتهم الخاصة [2].

الاستعداد للمولود الجديد :

لقد اهتم السلاطين العثمانيون منذ بداية دولتهم اهتماما كبيرا بأولادهم وببناتهم قبل وبعد ولادتهم، فإن كل ولد أو بنت يولدان للسلطان يتم تسجيل يوم ولادتهم وتسميتهم في وثيقة ميلاد خاصة لكل مولود ، كما ويتم قبل ذلك تجهيز غرفة واسعة في قسم الحريم قبل الولادة مؤثثة بأفخم الأثاث لاستقبال المولود الجديد ، حيث يغطى سرير الأم ومهد الطفل بأفخر الأنسجة المزينة بخيوط الذهب والفضة والنقوش الجميلة وكذلك الأرائك والستائر، ويوضع بها طست وأباريق نحاسية وفضية مطلية بالذهب لاستخدامها في عملية الولادة ، ويجهز مهد خاص محلى بالذهب والجواهر لاستقبال المولود أو المولودة الجديدة.

وجرت العادة عند ولادة طفل للسلطان أن تلد الزوجة وسط جمع غفير من النساء، حيث تكون غرفة الأم مكتظة بزوجات كبار المسؤولين اللاتي يقفن احتراما للمولود الجديد [3]، كما وتحتم التقاليد المتبعة ان يعرض المولود الجديد فور ولادته على رجال الدولة الذين ينتظرون خلف الباب، ويأمر السلطان بمنح والدة الطفل تاجا ويلبس هذا التاج في المراسيم

، ويمنح الطفل راتبا سنويا يصل إلى خمسة الاف قطعة ذهبية[٤] ،كما تقام طقوس خاصة بهذه المناسبة، حيث تستلقى والدة الطفل على أريكة فخمة ومرتدية ثوبا من الحرير الاحمر المرصع بالياقوت والزمرد واللؤلؤ وهي أحجار ترمز للعائلة السلطانية، ويتم دعوة العامة لتناول الطعام أثناء الموكب المصاحب لولادة الطفل ويسمى " بشك الاي"، ويتم منح الطفل ثلاثة مهود، المهد الأول من الخزينة السلطانية ، والثاني من والدته، والثالث من الصدر الأعظم، ويعرض المهدان الأخيران مع اللحف والاغطية والهدايا من المجوهرات من خلال موكب يمتد عبر طريق يمر من السوق بمحاذاة جامع أيا صوفيا وحول اسوار قصر طوب قابي حتى يصل الى قسم الحريم السلطاني[٥].

وعند البشارة بالولادة يتم توزيع النقود والهدايا على الموجودين، كما يتم اضاءة القصر وقصور كبار المسؤولين بالقناديل فرحا بهذه المناسبة [٦]، وتزف البشرى الى الأقاليم والولايات ،وقد أصبح منذ عصر السلطان مصطفى الثالث يتوجب الاعلان عن ولادة اي بنت للسلطان اسوة بالولد، وابلاغ كافة الولايات من خلال أوامر سلطانية بذلك للاحتفال بهذه المناسبة بعد أن يعلن هذا الخبر في العاصمة وذلك بإطلاق المدفعية من ساحل طوب قابي ويدي قلة ، حيث تطلق سبع طلقات للإعلان عن ولادة الذكر وخمس طلقات للإعلان عن ولادة الأنثى، وأحيانا ٦ طلقات اذا كان المولود ذكرا وثلاث اذا كانت أنثى[٧].

مظاهر الاحتفال بالمولود الجديد :

ويتم الاحتفال بميلاد الأمير أو الأميرة بشكل كبير ولعدة أيام ويقام لهما موكب يعرف باسم " بشيك الاي" أي موكب المهد[٨]، حيث يتم صنع مهد من الفضة ويوضع عند الباب الملاصق للديوان الهمايون بصحبة الاغوات والذين يوصلونه الى دائرة الحرملك حيث يستقبله آغا دار السعادة والخزينة دار أوسطى، وقبل الحفل يتم إرسال مذكرات ابلاغ كبار رجالات الدولة وعلى رأسهم الصدر الأعظم وشيخ الاسلام بولادة مولود للسلطان ليحضروا مع وأسرهم للمشاركة في الاحتفال [٩].

ويستمر هذا الاحتفال سبعة أيام بلياليها ويشارك بها الأهالي ، حيث تقوم عروض الألعاب النارية والبهلوانية ، ويبدأ الحفل حين يتحرك موكبان للمهد أولهما يضم موكب والده سلطان وهي التي أمرت بصناعة المهد وأغطيته وإرساله إلى القصر القديم في منطقة بايزيد ، ثم ينقل الى قصر طوب قابي في صحبة عدد من موظفي القصر، وعند تحرك هذا الموكب يصطف الأهالي على جنبات الطريق لمشاهدته والدعاء بالخير للسلطان وللمولود الجديد الذي يطلق عليه السلطان عادة اسم من أسماء اباءه أو أقاربه سواء كانت أسماء عربية أو تركية، وأحيانا ترتبط المسميات بالقرآن الكريم ، حيث جرت عادة السلاطين أن يتلوا القرآن أثناء مخاض زوجاتهم في انتظار المولود الجديد وهي عادة عثمانية، وعند وصوله قصر طوب قابي يؤخذ المهد إلى غرفة معدة له، ويميز مهد المولود الذكر عن الأنثى بأن يثبت به ريشة[١٠].

أما الموكب الثاني فيضم الصدر الأعظم والذي يقوم في اليوم السادس من ولادة الطفل بعمل احتفال أكثر بهجة وزينة، حيث يقوم الصدر الأعظم بصناعة مهد آخر مع أغطيته لا تقل قيمتهم عن المهد الأول ويتم نقله كذلك إلى قصر طوب قابي في موكب احتفالي كبير يصحبه عدد من موظفي القصر وتصحبهم الفرقة الموسيقية بعد أن توزع عليهم الأقمشة الباهظة والفراء كل حسب درجته.

وعند وصول الموكب إلى قصر طوب قابي يقدم المهد إلى السلطان أولا لينال رضاه ثم يرسل إلى غرفة الولادة، حيث تجلس زوجات السلطان وزوجات مسؤولي الدولة وفقا لمناصبهن ، أما والدة السلطان فتجلس على كرسي وحولها الأميرات، وتضع القابلة الطفل أو الطفلة في المهد وتهزه ثلاث مرات وهي تدعو له بالخير، ثم تأخذه في حضنها ، عندها تقوم النساء الموجودات بوضع الهدايا من الجواهر والمعادن الثمينة في المهد الفارغ لتأخذه القابلة ، كما تقدم النساء كذلك الهدايا الثمينة لكل من المولود وأمه ، ويقدم رجال الدولة

الهدايا للسلطان بهذه المناسبة، بعدها يبدأ الحفل داخل اجنحة الحرملك على أنغام الموسيقى والرقص التي تقدمها الجواري داخل قسم الحريم ويستمر لثلاثة ايام، وفي الخارج تطلق المدافع وتزين سفن الأسطول لهذه المناسبة [١١].

وقد شاهد الرحالة اوليا جلبي الاحتفال الذي أقامه السلطان مراد الرابع لولادة ابنته الأميرة قايا ووصف هذا الاحتفال قائلا : " إنه في مساء يوم ولادة الأميرة قايا أقيمت الأفراح وتم ذبح العقيقة ، وصنع المخترع حسن لاغري قذيفة ذات سبعة اذرع تحتوي على خمسين أوقية من معجون البارود، وقام بركب هذه القذيفة أمام السلطان في سراي بورنو، ثم أشعل معاونوه فتيلة القذيفة فانطلق الى السماء مع القذائف الأخرى، فانتشرت الأنوار في السماء ثم نزل الى الأرض بعد ان نشر أجنحة النسر التي كانت معه، وهبط على البحر بالقرب من قصر سنان باشا، ثم حضر إلى السلطان فأنعم عليه بكيس من الذهب وسجله سباهيا براتب ٧٠ اقجة[١٢].

ويتم تخصيص مرضعة ومربية ومسؤولة عن الجواري للمولودة[١٣] ، حيث وصل عدد الجواري في البداية ٢٠ جارية ويرتفع العدد إلي ٣٠ بعد بلوغهما سن التعليم [١٤] ، كما يخصص جناح منفصل للأميرة وأخر الأمير، ويتم تربيتها على يد والدتها ومربيتها ومدبرة أمورها ، واذا بلغ الأمير سن الخامسة من عمره قام بتربيته عدد من موظفي " خاص أوده" أي الغرفة الخاصة والذي يطلق على كل واحد منهم لقب " لا لا" أي المربي ، وتقتضي التقاليد العثمانية أن يبقى الولد بجوار والدته حتى سن الخامسة عشر حتى يرسل الى إحدى الولايات، وبالنسبة للأمراء الذين يولدون في الولايات فإنهم يرسلون إلى العاصمة للدراسة بعد بلوغهم سن السابعة في مدرسة القصر [١٥].

كما جرت العادة عند السلاطين العثمانيين عند ولادة ولد لهم ان يعلنوا للشعب خبر ولادته للاحتفال بهذه المناسبة السعيدة ، كما اعتاد السلاطين على تسمية اولادهم بأسماء عربية إسلامية في غالبها كمحمد ومصطفى وعثمان وأحمد ومحمود وعبدالله ومراد وسليم، بالإضافة إلى الأسماء التركية كأورخان وجم وكركود وجهانكير، بالإضافة إلى التسمية على من سبقهم من السلاطين سواء من آبائهم او أجدادهم او إخوانهم، كما اعتاد بعض السلاطين أن يقوم بتلاوة القرآن في الوقت الذي ينتظر فيه مولوده الجديد فإذا ما بشر بولادة مولود ذكر فتح القرآن وأختار له اسما من الصفحة التي يفتحها كما حدث مع كل من السلطان مراد الثاني عند ولادة ابنه السلطان محمد الفاتح والسلطان سليم الأول عند ولادة ابنه السلطان سليمان القانوني[١٦]، كما ويطلق على المولود الجديد لقب شهزاده وهي لفظة فارسية تعني ابن السلطان [١٧] ، وهذا ما تقتضيه المراسيم عند ولادة كل أمير [١٨].

إلا أنه من المحزن أن كثيرا من الأمراء والأميرات كانوا يموتون وهم صغار نتيجة للأمراض السارية والمنتشرة آنذاك،[١٩] ونلاحظ ذلك جليا عند زيارة أضرحة السلاطين فنجد العديد من الأضرحة الصغيرة المحاطة به [٢٠].

واهتم الأهالي في الولايات بالاحتفال مع كل مولود للسلطان ، حيث يرسل السلطان مرسوما إلى الولايات مع مبعوث خاص لكل ولاية ، يقابل الوالي ويقرأ عليه المرسوم بحضور رجال الولاية وأعيانها ، ثم ينشر الخبر بين الأهالي ويأمر بالاحتفال وتزيين الأسواق، ويؤمر بإطلاق الألعاب النارية من قلعة المدينة ليلا وإطلاق المدافع خمس مرات مع كل وقت صلاة، وتستمر الاحتفالات طيلة سبعة أيام[٢١].

وقد اقتصر الاحتفال في البداية على ولادة المواليد الذكور للسلطان فقط حتى عصر السلطان مصطفى الثالث الذي أمر بالاحتفال بولادة الأميرات ورغم استغراب الجبرتي من هذا الاحتفال الا أن المؤرخ الشامي ميخائيل بريك يضع لنا تعليلا منطقيا لذلك وهو أن السلطان مصطفى الثالث أمر بذلك لسبب أنها كان أول مولود للأسرة السلطانية بعد أربعين

عاما من أخر مولود، حيث أن من سبقه من السلاطين كمحمود الأول وعثمان الثالث لم يرزقا بمولود[٢٢].

الاحتفال بولادة الأمراء في الولايات العثمانية :

ذكر ابن رضوان أنه في يوم ١٣ صفر عام ١٠٦٥(١٥ ديسمبر ١٦٥٤م) حضر آغا من السلطان بزينة مصر المحروسة ثلاثة أيام بسبب ولد للسلطان[٢٣]، كما ذكر الجبرتي عدة احتفالات أمر بها ولاة مصر بمناسبة ولادة الأمراء والأميرات منها:

في يوم ١٨ ربيع الاول عام ١١٠٥ (٩ نوفمبر ١٦٩٣م) ورد مرسوم بتزيين الأسواق وضواحي القاهرة بسبب أن السلطان أحمد الثاني رزق بتوأمين سمي أحدهما بسليمان والآخر ابراهيم [٢٤] ، وقد أورد محمد مكي الخانقاه وهو مؤرخ حمصي نفس الخبر ولكنه في زمن متقدم جدا حيث ورد هذا الخبر على حمص في شهر صفر عام ١١٠٤هـ وأن المدينة زينت لهذا السبب [٢٥] ، وقد أورد الخبر نفسه علي بن رضوان وهو من مؤرخي مصر في القرن الثامن عشر أن الخبر وصل مصر في يوم ١٨ ربيع أول حيث حضر آغا بخط شريف بتزين مصر خمسة أيام وذكر اسم سليم بدل سليمان ووصف الزينة بانه لم يرى مثلها [٢٦]، وقد وافقه المؤرخان السنجاري و الخانقاه في التاريخ حيث ورد الخبر الى مكة في نفس التاريخ وأن الشريف أمر بتزيين مكة لثلاثة أيام إلا أن السنجاري لم يذكر أن المولود كان توأم [٢٧].

كما ذكر في تاريخ الثالث عشر من ربيع الأول عام ١١٠٨هـ / ٣ اكتوبر ١٦٩٦م أمر والي مصر بتزيين الأسواق سرورا بمولود للسلطان مصطفى الثاني سمي محمود [٢٨]، كما ذكر أنه في يوم الأربعاء ٢٢ جمادي الآخرة عام ١١١٠هـ الموافق ١٤ ديسمبر ١٦٩٩م وصل الأمر بتزيين المدينة بسبب ولادة ولد للسلطان مصطفى الثاني وكان يوم فيه ثلج وبرد[٢٩].

ويورد المؤرخ الشامي ميخائيل بريك خبر ولادة أحد الأمراء بقوله :

"وفي يوم الأحد ٢ رمضان ١١٧٢هـ الموافق ١٨ نيسان ١٧٥٩م حضر قابجي بأمر السلطان مصطفى الثالث بأن تكون الزينة سبعة أيام بلياليها بسبب ولادة مولودة للسلطان فلما قرئ الخبر في الديوان نادى المنادي بالاحتفال وأن تصير الزينة في كل مكان فصار ما قد أمر وكانت المدينة مكلسة ممروشة بالدهانات ومزينة بالفرش والشموع والقناديل والآلات سبعة ايام بلياليها في شهر رمضان [٣٠]، كما ذكر ابن رضوان بأن مصر زينت ثلاثة أيام في رجب ١١١١هـ (١٧٠٠م) بسبب مولود للسلطان"[٣١].

وذكر المرادي أنه في السابع من جمادى الأولى عام ١١٧٤هـ (٨ ديسمبر ١٧٦٠م) امر والي دمشق عثمان باشا بتزيين المدينة ٧ أيام احتفالا بمولد الامير سليم بن السلطان مصطفى الثالث (السلطان سليم الثالث فيما بعد) [٣٢]، كما ذكر حسن آغا العبد أنه في عام ١١٩٠هـ (١٧٧٦م) زينت دمشق بزينة لم ير مثلها واستمرت سبعة أيام بلياليها وكأنها أيام الأعياد وذلك لمولد السلطان محمود بن السلطان عبدالحميد الأول[٣٣].

كما جرت العادة إقدام بعض الوزراء والولاة على إكرام الرسول المبشر بولادة ولد للسلطان، كما حدث عندما أرسل السلطان محمد الرابع إلى الصدر الأعظم كوبريللي أحمد باشا وهو يحاصر قلعة قانيزه بالمجر يخبره بولادة الأمير مصطفى ويهديه خنجرا مرصعا مع فرو سمور، فأهدي الوزير رسول السلطان يوسف آغا عشرين كيسا من النقود ومجموعة من التحف [٣٤].

الاحتفال بختان الأمراء:

يعتبر حفل الختان الأمراء من أكثر الاحتفالات عظمة وأبهة في التاريخ العثماني والتي ألف عنها كتب تصفها وتعرف بالسور نامه وتزين بالرسوم الجميلة [٣٥] ، فقد جرت العادة في حفلات ختان الأمراء العثمانيين أن تنصب الخيام السلطانية في أوسع فضاء مفتوح في وسط العاصمة استانبول ، وتتميز خيام السلطان بأنها محمية من المطر بغطاء

أخضر، ومخاطة من الداخل بصور الزنبق والورد والقرنفل ، ويوضع عرش السلطان تحت مظلة من القماش الذهبي [٣٦]، كما جرت العادة أن يقام مهرجان يعرف باسم مهرجان النخلة، حيث تصنع مجموعة من النخيل من الشمع والحبال وتزين بالفواكه والزهور والأحجار الكريمة والمرايا، وقد يصل طول النخلة الى ٢٢ مترا وتعرض للناس على مدار أسبوع كامل قبل عملية الختان [٣٧].

وحسب المصادر المتوفرة فإن أول حفل ختان للأمراء العثمانيين وصل الينا هو حفل ختان ولدي السلطان محمد الفاتح بايزيد ومصطفى عام ١٤٥٧م دون ذكر أية تفاصيل عن هذا الحفل[٣٨]، ثم حفل ختان الأميرين أحمد وسليم ابناء السلطان بايزيد الثاني والذي أمر به جدهما السلطان محمد الفاتح [٣٩]، وبعد انتقال الحرملك إلى قصر طوب قابي اصبحت عملية الختان للأمراء تتم في مكان محدد مسبقا، حيث تتم في غرفة الختان المجاورة لغرفة الأمانات المقدسة [٤٠].

ويعتبر السلطان سليمان القانوني أول سلطان عثماني يحتفل بختان أولاده احتفالا رسميا أمام الناس وبشكل فخم ، فقد ذكر العلامة بدر الدين محمد الغزي في رحلته للقسطنطينية عام ٩٣٧هـ/ ١٥٣١م أن الديوان السلطاني تعطل بسبب الاحتفال بختان أولاد السلطان سليمان القانوني التي تعتبر من الاحتفالات المهمة التي استمرت عدة أيام وشملت أغلب أيام شهر ذي القعدة عام ٩٣٧هـ.[٤١] كما تحدث المؤرخ بجوي عن الإعدادات التي سبقت الاحتفال بختان ولدي السلطان سليمان القانوني مصطفى وسليم والتي سبقت الحفل بعدة شهور، حيث تم إعداد مقر مناسب للسلطان في محلة مهتر خانة همايون بالقرب من آت ميداني ، كما نصبت مجموعة من الخيام المزينة بالديباج للوزراء والأعيان والضيوف في الميدان نفسه[٤٢] .

ويبدأ الحفل باجتماع الديوان الهمايوني ، حيث يجتمع الصدر الأعظم مع بقية الوزراء وقادة الجيش منذ الصباح الباكر في انتظار قدوم السلطان ، حيث يقدم السلطان إلى الديوان وهو راكب جواده ويحفه الآغوات والخدم وينزل في المكان المخصص له سلفا حيث يعدل له كرسي خاص أشبه بكرسي العرش، ويبدأ الحفل بالهتاف والدعاء للسلطان ومدحه، ثم يتقدم الحضور للسلام على السلطان وتهنئته بهذه المناسبة كل على حسب درجته ومرتبته بدء بشيخ الاسلام ثم بمعلم السلطان ثم بالوزراء والقادة والأعيان، ويتم خلال هذا الحفل تبادل الهدايا بين السلطان والحضور ، ويوزع السلطان القفاطين على الوزراء والعلماء ، ويستقبل الهدايا من رجال الدولة وسفراء الدول، ثم تقدم ولائم الطعام للحضور وللرعية على مدى اسبوعين ، وفي اليوم الرابع عشر يتم إخراج أبناء السلطان المراد ختانهم من القصر وهم راكبون على الخيل ويحضرون إلى الميدان حيث يستقبلهم الوزراء والقادة ويشاهدهم الناس، ويتم خلال ذلك توزيع المشروبات الباردة على الحضور ثم نصب موائد الطعام.

وفي اليوم الثامن عشر يرسل الأمراء إلى محلة الديوان خانة بالقرب من قصر إبراهيم باشا حيث يتم ختانهم من قبل جراح القصر ويستريحون يومين حتى يخف الجرح، وفي اليوم العشرين يتم إخراجهم إلى منطقة كاغد خانة وهي إحدى متنزهات استانبول حيث يشاهدون سباق الخيل والألعاب النارية والبهلوانية ، كما يقوم الجنود بعمل معارك تمثيلية والمبارزة فيما بينهم، وتقام مسابقات علمية بين العلماء، وينشد الشعراء القصائد في هذه المناسبة ، وبعد هذه الاستعراضات يتم نصب موائد الطعام للناس في الساحات والطرقات ، ويستمر الحفل أربعين يوما [٤٣]، ويبدو أن تكلفة الحفل الباهظة دعت الصدر الأعظم إلى تقليص عدد أيامه إلى ثلاثة عشر يوما فقط في حفل ختان الأمير بايزيد بن السلطان سليمان القانوني، حتى لا يرهق خزينة الدولة وقد أعتبر البعض تصرفه هذا تقصيرا وتكاسلا [٤٤].

ويذكر كذلك أن السلطان مراد الثالث احتفل عام ٩٩٠هـ ١٥٨٢م ، بختان ابنه محمد احتفالا كبيرا لم يسبق له مثيل، حيث تم التحضير للحفل قبل سنة وخصصت له ميزانية ضخمة خاصة ودعي إليه رسميا ملوك المسلمين وملوك أوروبا وولاة الأقاليم وأشراف الحجاز، وامتدت الولائم وحفلات اللهو والطرب طيلة ٤٥ يوما حيث جلس السلطان للفرجة في قصر إبراهيم باشا بآت ميداني واستقبل وفود الملوك المهنئين له وتقبل هداياهم ، كما أغدق العطايا العظيمة حيث جعل صواني من الذهب والفضة ملأى بالذهب والفضة والقى ذلك على أرباب الملاهي وطالبي الإحسان [٤٥]، وأمر السلطان مراد الثالث بأن يصنع مجسما كبيرا لزهرة التوليب وتحمل في موكب الختان [٤٦]، كما أعدت ١٥٠٠ صينية للمآدب ، ذبح ٢٠ ثورا لإطعام اهل المدينة، كما اعدت القصور المطلة على الميدان للسفراء الاجانب ولسيدات القصر لمشاهدة حفل الختان ، كما حملت خمس نخلات كبيرة وثلاثمئة وستين نخلة متوسطة وصغيرة في مواكب المدينة وشوارعها [٤٧].

وقد وصف المؤرخ حسين خوجه هذا الاحتفال بقوله :

" وكان السلطان مراد الثالث عمل وليمة وفرحا عظيما ومهرجانا جسيما لختان ولده الأمجد ولي عهد السلطان محمد ، واحتفل فيه كل الاحتفال ، واهتم فيه كل الاهتمام، فكان مهرجانا ما وقع لأحد مثله من السلاطين، مع بسطه بالإنعامات الكثيرة والإحسانات المستفيضة، وهرع لهذا المهرجان العظيم من جميع الممالك من أرباب اللهو والسماع والمطربات وأهل البدائع من المخترعات والصنايع المضحكات، ودام هذا الفرح نحو الشهرين ، وقد جعل صواني صغار من ذهب وفضة، فيملأ الذهب بالفضة والفضة بالذهب ويلقى ذلك على ارباب الملاهي وغيرهم من طالبي الإحسان، وكانت هذه الوليمة تعد من اعظم وأكبر الولائم مد الدهر والزمان "[٤٨]

وجلس الأمير محمد قبل عملية الختان وهو يرتدي ثوبا من الحرير الاطلس القرمزي والقماش الأبيض المطرز وفي عمامته ريش طائر البلشون وفي اذنه اليمنى ياقوتة حمراء، وقد أنعم السلطان مراد الثالث على محمد باشا الجراح الذي قام بعملية الختان بثلاثة الاف قطعة ذهبية ، كما أنعمت السيدة نوربانو والدة السلطان على الجراح بعشرة الاف قطعة ذهبية ومجموعة من الأقمشة والثياب بلغت ثلاثين ثوبا بالإضافة الى عباءات تشريفية وطاسة وابريق ذهبيين ، كما تم توزيع العديد من الصدقات على الفقراء والمساكين بهذه المناسبة [٤٩].

وقد ذكر الحموي (ت ١٧١٥م) أن السلطان مراد الثالث أنه ما اجتمع في زمان أحد من السلاطين السابقين مثل ما اجتمع على بابه من رسل السلاطين مع رسائلهم وتهانيهم وهداياهم الفاخرة من سلاطين العرب والعجم والتتار ورسل عظماء الكفار باختلاف أديانهم برا وبحرا حين ختن ولده محمد[٥٠]، ويعتبر السلطان أحمد الاول (١٦٠٣-١٦١٧) أول سلطان عثماني يختن بعد جلوسه على العرش، حيث تم ختانه بعد أربعة عشر يوما من جلوسه على العرش وهو في الثالثة عشر من عمره، ثم جاء بعده حفيده السلطان محمد الرابع الذي ختن كذلك بعد جلوسه على العرش وهو في السابعة من عمره [٥١].

وفي حفل ختان أبناء السلطان محمد الرابع الذي تم في مدينة أدرنة وضع الشاعر العثماني نابي منظومة شعرية مكونة من خمسمئة وسبعة وثمانين بيتا يصف فيها الاحتفالات التي اجريت لهذه المناسبة والتي استمرت لمدة خمسة عشر يوما ودعي اليها كبار رجال الدولة من وزراء وقواد وولاة بالإضافة إلى السفراء الأجانب [٥٢]، وذكر حسين خوجة وهو معاصر للسلطان أحمد الثالث الحفل الذي أقامه السلطان لختان أولاده حيث قال :

" وفي سنة ثلاث وثلاثين ومئة وألف (١٧٢١م) أهتم السلطان غاية الاهتمام ، وعمل مهرجانا عظيما، واحتفل فيه احتفالا جسيما لختان أبنائه الأمجاد، وأحدث فيه عجائب لطيفة لتسلية الخواطر الشريفة، دام ثمانية وثلاثين يوما" [٥٣]، ويذكر أنه في هذا الحفل تم

صنع أربع نخلات بطول ٩ أمتار وأربعين نخلة صغيرة لكل أمير، واقيمت الاحتفالات في ميدان ات ميداني لمدة خمسة عشر يوما ، حيث تم ختن الأمراء الأربعة بالإضافة إلى ابن الصدر الأعظم إبراهيم باشا، وختن معهم خمسة الآف صبي، وعمت الأفراح العاصمة [٥٤] ، وكانت المواكب تمر على السلطان أحمد الثالث وهو جالس في كشك الاي الذي يمكنه من مشاهدة ما يجري خارج القصر[٥٥]، وقد عمل الشيخ أحمد بن ناصر الدين البقاعي (ت١١٧١هـ) تاريخا لحفلة ختان أبناء السلطان أحمد الثالث [٥٦].

وقد اهتم الناس على اختلاف طبقاتهم بالحفلات التي كان يقيمها السلطان العثماني لختان أولاده، وإظهار البهجة بذلك في الشوارع ، كما درج الناس على تعليق منسوجاتهم اليدوية على مداخل بيوتهم ونوافذها في طريق مرور موكب الختان كعلامة للفرحة [٥٧].

ومن العادات المتبعة عند تربية الأمراء والأميرات انه لا يجوز تقبيلهم أو مداعبتهم من قبل العاملين في القصر ، إنما يقتصر ذلك على آبائهم وأمهاتهم او أخوتهم، كما انه لا ينبغي مناداتهم بأسمائهم المجردة حتى من قبل السلطان نفسه، إنما ينادون بألفاظ رسمية كمحمد خان أو أحمد أفندي، وبالنسبة للأميرات تنادى باسمها ملحقا بلقب سلطان كعائشة سلطان[٥٨].

ويخصص للأمراء والأميرات مربون يطلق على احدهم لقب " داي "[٥٩] ويتم اختيارهم من الرجال المسنين ممن خدموا في الأندرون[٦٠] ، وتقتضى مهمتهم باصطحاب الأطفال من الحرملك إلى الخارج والقيام بخدمتهم، فإذا كبر الأمراء قليلا فإنه يتم تخصيص مربي آخر يطلق عليه لقب " لا لا"[٦١] ، ويتم اختياره من رجال البلاط المتقاعدين الذين شغلوا مناصب هامة في الدولة[٦٢].

الخاتمة :

وبعد استعراض الموضوع المتعلق بالاحتفالات المصاحبة لمولد الأمراء وختانهم نستخلص النتائج التالية :

إن ولادة طفل للسلطان وكذلك ختانه فيما بعد لم يكن أمرا عاديا بالنسبة للأسرة الحاكمة وبقية أفراد المجتمع، بل كان حدثا هاما يشترك فيه الجميع في اظهار الفرح والمشاعر، ويعتبر من الظواهر الاجتماعية البارزة للمجتمع العثماني باختلاف طبقاته.

إن الاحتفال بولادة لمولود ثم ختانه يسبقه تجهيز كبير قبل ذلك بمدة ، حيث يتم تخصيص الأماكن التي سوف يجري فيها الاحتفال والميزانية التي يتطلبها والمدة الزمنية التي سوف يستغرقها هذا الاحتفال ودعوة الوفود وسفراء الدول للمشاركة فيها.

أن هذه الاحتفالات تتم حسب بروتوكولات محددة وتقاليد متوارثة تتقيد بها الأسرة العثمانية ويطبقها رجال البلاط ويحرص على مشاركة الأهالي فيها.

كان الاحتفال بمولد الأمراء قاصرا على الذكور حتى منتصف القرن الثامن عشر ثم أصبح يشمل الذكور الإناث معا ويتم التفريق بينهما في عدد طلقات المدفعية حيث تكون للذكور أكثر من الإناث ، فيعلم أفراد الشعب من خلالها على جنس المولود.

لم يكن الاحتفال بمولد الأمراء قاصرا على سكان العاصمة فقط بل اشتركت في ذلك كافة الولايات العثمانية ، حيث يبلغ الولاة بولادة مولد للسلطان وتزيين عاصمة الولاية ويحتفل الاهالي بهذه المناسبة.

تعتبر هذه الاحتفالات ظاهرة اجتماعية بارزة من سمات المجتمع العثماني بينت مدى المشاركة بين أفراد المجتمع والأسرة الحاكمة واعتبرت جزءا من سماته وثقافته.

Abstract

The phenomenon of the Ottoman sultans celebrating the birth and circumcision of their children

By Talal Jamaan Saad Al-Juaid Al-Azmi

This research deals with an analytical descriptive study of an important social phenomenon in the Ottoman ear, the celebrations of the birth and circumcision of the children of the ottoman sultans, and the attendees of these celebrations of pre-preparations and tradition followed by many manifestations extravagance, which had a bad impact on the stat's finances ,and also demonstrated the community in different classes to attend and participate in these celebrations , light sources available .

الهوامش

١- أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة : عدنان محمود سليمان، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، ١٩٨٨، ص ٢٨٨

[٢] - اوزتونا ، مرجع سابق، ج٢ ، ص ٢٨٦

[٣] - مانسيل ، فيليب ، القسطنطينية المدينة التي اشتهاها العالم، ترجمة : د مصطفى محمد قاسم ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ٤٢٦، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت ، ٢٠١٥، ص ١٣٣

[٤] - اوزتونا ، مرجع سابق، ج٢، ص ٢٨٨

[٥]- سكيرس : جينفر ، الثقافة الحضرية في مدن الشرق، ترجمة : ليلى الموسوي ، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٣٠٨، اكتوبر ٢٠٠٤، الكويت ، ص ١١٠ -١١١

[٦]- سنجر، أصلي، المرأة العثمانية بين الحقائق والأكاذيب، ترجمة : سمير عباس ، دار النيل، القاهرة،٢٠١٤ ، ص ١٢٦

[٧] - اوزتونا ، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٨٨

[٨] -M.Cagatay Ulucay. Padisahlarin kadinlari ve kizlari, Ankara, turk tarih kurumu yayinlari,١٩٨٠ . s.٤١

٩- المصري ، د حسين مجيب ، معجم الدولة العثمانية ، الدار الثقافية ، القاهرة، ٢٠٠٤ ، ص ٣٣، صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، منشورات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠، ص ٦٢

١٠ - آل طلحة أغورلو ، سلطان حكم العالم " سليمان القانوني" ، ترجمة : عبداللقادر عبداللي ، دار الثقافة، بيروت، ٢٠١٥، ص ٣٧، وذكر ان السلطان مراد الثاني كان يقرأ القران عند ولادة ابنه السلطان محمد الفاتح فلما دخل عليه البشير كان قد فرغ تو من قراءة سورة محمد فلما سألوه عن تسمية المولود قال : قد انهيت سورة محمد قبل قليل وبدأت في سورة الفتح، فيكن اسمه محمد على اسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وان شاء الله يتيسر له الفتح، وبشر السلطان سليم الاول بابنه سليمان وهو يقرأ قوله تعالى من سورة النمل" انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم" فسماه سليمان.

١١ - المصري، حسين، مرجع سابق، ص ٣٣

١٢ - أق كندوز، أحمد ، الدولة العثمانية المجهولة، وقف البحوث العثمانية، استانبول، ٢٠٠٨، ص ٣٠٩

١٣ - كان لبعض السلاطين العثمانيين أخوة من الرضاع كالسلطان القانوني الذي رضع مع الشيخ يحيى افندي بن قاضي طرابزون عمر افندي من والدته بعد أن شح لبن السيدة حفصة خاتون والدة القانوني، فاصبح القانوني ويحيي افندي اصدقاء منذ الطفولة وتعلما معا. ال، طلحة اغرلو ، مرجع سابق، ٥٩

١٤ - اوزتونا ، مرجع سابق، ج٢، ص ٢٨٧

١٥ - ال، طلحة، اغرلو، مرجع سابق، ص ٦٠

١٦- أمجان : فريدون، سليمان القانوني، ترجمة : جمال فاروق، ٢٠١٤،دار النيل، القاهرة، ص ١٤

١٧ - اوزتونا ، مرجع سابق، ج٢، ص ٢٨٨

١٨- صابان، المعجم الموسوعي، ص ١٤١

١٩- اورد السفير البندقي " ماركو مينو" في تقريره لمجلس شيوخ البندقية عام ١٥٢٢م : ان السلطان القانوني فقد ثلاثة ابناء في بضعة ايام ولدين وفتاة خلال انشغاله في حملة بلغراد، انظر: امجان، مرجع سابق ، ص ٤٢

٢٠- أورد المؤرخ التركي يلمازاوزتونا العديد من أسماء وأعمار الأمراء والأميرات المتوفين وهم اطفال في كتابه تاريخ الدولة العثمانية عند ذكره لأسرة كل سلطان.
٢١ - المرسي ، د الصفصافي أحمد ، استانبول عبق التاريخ وروعة الحضارة، دار الآفاق العربية، القاهرة ، ١٩٩٩، ص ٦٩
٢٢- الدمشقي : ميخائيل بريك، تاريخ الشام (١٧٢٠- ١٧٨٢م)، تحقيق أحمد غسان سبانو، دار قتيبة،١٩٨٢،بيروت ، ص ٧٧ .
٢٣- ابن رضوان : علي، زبدة اختصار تاريخ ملوك مصر المحروسة، تحقيق : بشير زين العابدين، دار الفضيلة ، القاهرة ،د ت، ص ١١٣ ويبدو أن ابن رضوان أخطا في التاريخ فأول أبناء السلطان محمد الرابع ولد عام ١٠٧٤هـ كما لا يعقل أن ينجب السلطان وهو لم يتجاوز الثانية عشر من عمره.
٢٤- الجبرتي : عبدالرحمن بن حسن، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت ، د ت، ج ١، ص٤٥
٢٥- الخانقاه : محمد مكي بن عبدالباقي، حوادث حمص اليومية (١١٠٠-١١٣٦هـ)، تحقيق : منذر الحايك، دار صفحات،،٢٠١٢، دمشق، ص ٩٢.
٢٦- على بن رضوان : زبدة اختصار تاريخ ملوك مصر المحروسة ، ص ١٩٧
٢٧ - السنجاري،علي بن تاج الدين، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق: ماجدة فيصل، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٩٩٨، ج٥، ص ١٦٠
٢٨- الجبرتي : المصدر السابق ، ج١، ص ٤٩،ابن رضوان، مصدر سابق، ص ٢٢٧
٢٩- الخانقاه ، مصدر سابق، ص ١٣٥
٣٠- بريك ، تاريخ الشام، ص ٧٧،
٣١- ابن رضوان، مصدر سابق، ص ٢٤٧
٣٢- المرادي : محمد خليل ،سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٧،ج٣،ص ١٥٧
٣٣ - العبد، حسن آغا، حوادث بلاد الشام، تحقيق: يوسف جميل نعيمة، دار دمشق، ١٩٨٦، ص ٣، وقد وهم في ذكر اسم المولود فمن الثابت أن السلطان محمود ولد عام ١١٩٩هـ ، وبالرجوع الى قائمة أولاد السلطان عبدالحميد الاول عند التي اوردها يلماز اوزتونا نجد ان المولود الذي يوافق ما أورده العبد هو الأمير محمد اكبر أبناء السلطان عبد الحميد وقد توفي هذا الأمير وهو في الخامسة من عمره، اوزنونا، يلماز، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٣٣
٣٤- منجم باشي : احمد دده، جامع الدول ، دراسة وتحقيق غسان علي الرمال، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، ١٩٩٧م، ج ٣، ص ١٢٧٦
٣٥ - احسان اوغلي، مرجع سابق، ص ١٥٨
٣٦ - مانسيل ، القسطنطينية ص ١٢٨
٣٧ - مانسيل ، مرجع سابق، ص ١٣١
٣٨- حليم، إبراهيم، التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٦٦
٣٩- القرماني، أحمد بن يوسف، أخبار الدول آثار الأول في التاريخ، تحقيق: أحمد حطيط، وفهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٢م، ج ٣، ص ٣٦
٤٠ - أورتايلي، إيلبير، اعادة استكشاف العثمانيين، ترجمة: بسام شيحا، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠١٢، ص ١٣٣
٤١- الغزي : المطالع البدرية في المنازل الرومية، تحقيق : المهدي عيد الرواضية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٤،بيروت،ص١٣٤.
٤٢- بجوي : تاريخ بجوي، ترجمة ودارسة: د ناصر عبدالرحيم، " رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة سوهاج، ١٩٩٨، ص ١٢٩، مانسيل، مرجع سابق، ص ١٢٩
٤٣ - بجوي ، المصدر السابق، ص ١٣٣
٤٤- بجوي: المصدر السابق، ص ١٨٤
٤٥- الصلابي : الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، ٢٠٠٨،ص ٦٣٠
٤٦ - المصري، حسين، مرجع سابق، ص ١١٩
٤٧ - وصف ذلك القرماني وهو معاصر للحدث بأن الحفل لم يقع مثله في زمن من الازمان ،القرماني، مصدر سابق ، ج٣، ص ٧٥

مانسيل ، مرجع سابق، ص ١٣٠
٤٨- خوجة : حسين، بشائر أهل الإيمان بفتوحات آل عثمان، تحقيق: محمد أسامة زيد ، القاهر، دار ابن رجب، ٢٠١٤، ج٢، ص ٣٠٧، المحبي، محمد امين بن فضل الله، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المكتبة الوهبية، القاهرة، ١٢٨٤هـ، ج٤، ٣٤٣ ،
الصديقي، مصدر سابق، ص ٢٠٩

٤٩- بجوي، مصدر سابق ، ص ٤٦١، مانسيل، مرجع سابق، ص ١٣١
٥٠- الحموي: مصطفى بن فتح الله، فوائد الارتحال ونتائج السفر في اخبار القرن الحادي عشر، تحقيق: عبدالله محمد الكندري، دار النوادر، دمشق، ٢٠١١،ج ٦، ص ١٥٦
٥١ - منجم باشي، مصدر سابق ، ج٣، ص ١٠٢٤ ، رفيق، مصدر سابق، ص ٦٩، الصفصافي، مرجع سابق، ص ٦٩
٥٢ - المصري، د حسين مجيب، تاريخ الأدب التركي، الدار الثقافية ، القاهرة ، ٢٠٠٠، ص ١٥٢
٥٣- خوجة، حسين، مصدر سابق، ج٢، ص ٤٦٢
٥٤ - الصفصافي، مرجع سابق، ص ٧٧
٥٥ - مانسيل ، مرجع سابق، ص ١٣٣
٥٦- المرادي ، مصدر سابق، ج ١، ص ٢٠٣
٥٧ - سكيرس، مرجع سابق ، ص ١١١
٥٨ - اوزتونا، مرجع سابق، ج٢، ص ٢٨٧
٥٩ - داي DAY كلمة تركية تعني الخال أطلقت على رتبة عسكرية ، الخطيب : مصطفى ، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٦، ص ١٧٥
٦٠ - الأندرون يقصد به قسم من قصر طوب قابي يتم فيه تدريب العاملين واختيارهم بدقة في خدمة السلطان، صابان ، مرجع سابق ، ص ٤٠
٦١ - لقب يطلق على معلم الأمراء ، صابان ، مرجع سابق، ص ١٩٦
٦٢ - اوزتونا، مرجع سابق، ج٢، ص ٢٩٧